المقتطف

الجزء الحادي عشر — المجلد الاول

بيروت في ٢٠ نيسان سنة ١٩١

مسز ستو

محررة عبد اميركا

حرّرت بقلمها عبد اميركا ورفعتهم من وهاد الذلّ : خلصتهم من جور الاستبداد والقذتهم من رقّ الاستعباد : فصاروا احراراً بعد ان رزحوا قروناً تحت نير البيض : على انهم بشر مثلنا . ولكنهم سود الوجوه . اثقت نفسها الكبيرة من الظلم وعواطفها الكريمة من الامتهان فابى ضميرها السكوت على شقاء الناس فاندفعت بحماستها العميقة وشعورها الدقيق الى درس احوال العبيد والتوسع فيها . ولما وعتها مثلتها ببراعها اوضح تمثيل . وكان لما كتبته في هذا الموضوع تأثير عظيم دفع احرار الاميركيين الى النهوض ضدّ المحافظين وحملهم على اجبارهم على عتق الرقيق بعد جهاد سياسي عنيف وحرب اهلية هي ثورة اجتماعية اشتعلت نيرانها اربع سنوات . اثارت الحرب وفازت بها دون ان تشهر الحسام او تطلق الرصاص . قهرت اعداء الحق ولم تحضر معركة ولا حضت على قتال . نزّهت الانسانية من عار العبودية ووقت الملايين من السود شرّ استبداد البيض . وكلّ ذلك بالقلم . فما اعظمه وما اسماه

كل الذين عاصروا حوادث تحرير العبيد في اميركا واستطاعوا اخبارها

جيداً ودرسوا مقدماتها واسبابها والعوامل التي دفعت الاحرار الى الأخذ بناصر اولئك الارقاء . كلهم يقولون — مسز ستو . مسز ستو) كلهم ينسبون لها في ذلك فضلاً عظيماً ويعدونها من افعل الامور المعنوية في تلك الثورة الاجتماعية ومن اهم المؤثرات فيها . بل يحسبونها بما كتبته العامل الاكبر والمؤثر الاعظم . لان كتبها قد نبهت الافكار واستفزت الهمم وكرهت بالرق تكريهاً شديداً . وحسبها منها رواية (كوخ العم توما) المترجمة الى عدة لغات والتي طبعت بالانكليزية مرات عديدة وبيع منها خمسمئة الف نسخة في بضع سنوات

على انها من سلالة الاثانيين بيضاء اللون انكليزية الاصل اميركية المولد والمنشأ . لشعبها مصالح بالرق يحافظ عليها ما استطاع . وانما فطرتها الشريفة واخلاقها الطيبة حاسياتها السامية ونفسها الراقية دعتها الى معاونة الضعيف والمدافعة عنه ضد مطامع القوي وحملتها على الجهر بالحق والنداء بالواجب

وهي هريت بتشر ستو الكاتبة المشهورة ذات الروايات المؤثرة والمؤلفات النفيسة فخر الاميركيين وحبيبة الاحرار في كل الارض

ولدت في ٤ حزيران سنة ١٨١١ في لتشفيلد من اعمال كونكتيكت في اميركا الشمالية . وكان ابوها ليمان بتشر قسيساً مشهوراً كبير العقل قوي الجسم وامها فاضلة عاقلة ولها عدة اولاد صبيان وبنات . فنشأت هريت في بيت علم وتقى تحت سماء الاحاديث الدينية الراقية فتهذبت جيداً وتربت تربية جيدة . وتعلمت في مدرسة انشأتها اختها كاترين في هارتفورد وعلمت فيها . ووسعت معارفها بنفسها درساً ومطالعةً وايدتها بالتأمل والامعان واستطلاع احوال الناس بقصد الاستفادة لا التسلي

وكانت ولادتها في وقت تنبهت فيه افكار مواطنيها الى النهوض من

سبات الخمول . فكانوا مع اشتغالهم في الزراعة والصناعة وذأبهم في المصالح المادية يشتغلون ايضاً في الادبيات والمقليات ويبحثون في الامور الفلسفية الدينية كغاية الوجود وما اشبه من المواضيع التي اعدّهم للبحث فيها مذهب كلفن الشائع وقتئذٍ في تلك الاماكن . بعد ان استمرّوا نحو قرنين منصبين على القيام بفروضهم الدينية وشؤون الحياة وتحصيل الرزق بمجرد المادة فقط لايفسحون للعقل مجالاً لابداء جواهره المكنونة ولا للضمير حرية للحكم على الامور ولا يطلقون الافكار من قيودها لتبدي ما تكمن من الاراء السديدة السامية شأن الامم الراقية المحرزة من التمدن الشأن العظيم . وظلوا محافظين على تقاليدهم القديمة والعتيقة الى ان صاروا يهاجرون الى ولايات الجنوب ويختلطون بغيرهم من الطوائف والشعوب . فشعروا اذ ذاك باحتياجاتهم الوطنية والعلمية والانسانية واستفادوا من ثورة الفرنسويين واحوال اوربا عموماً دفعتهم الى الاحتجاج على شدّة سلطة المبادىء الضاغطة على عقولهم المقيدة لافكارهم والمؤيدة الاستبداد بهم . وهبوا الى التحرر منها رغبة في اصلاح احوالهم على اختلاف انواعها . واهتموا قبل كل شيء بالتربية والتعليم والتهذيب . فنبغ منهم افراد عديدون قد افادوا البلاد ورقوا العباد

ونبغت هريت بتشر مع النابغين . وبدت منها دلائل النبوغ منذ الحداثة فكانت تلاحظ كل ما تراه وما تسمع به ملاحظة شديدة باتباه فكر ودقة نظر وتبدي من دلائل التصور البعيد والشعور العميق مع مظاهر البهجة والسرور ما يدل على توفر هذه القوى فيها ويبرهن استعدادها الباهر . وقد ساعدتها التربية على انماء قواها ومكنتها منها وايدها التعليم وجملها التهذيب . ووافقتها الاحوال فاشتهر امرها وبعد صيتها . ولكنها لم يفح عرف طيبها في الافاق البعيدة الا عندما ناهزت من عمرها الاربعين اي عندما اتحفت الناس برواياتها

البديعة . عند ما جاهدت جهادها القلمي الشريف في سبيل تحرير العبيد والمساواة بين البشر . وعلى هذا الاساس توطدت اركان شهرتها . وانما لم تشتهر باسم والدها بشربل اشتهرت باسم قرينها ستو

لانها كانت قد اقترنت بالمستر كالفن ستو احد اساتذة اللاهوت في مدينة سنسناتي او هايو حيث قد انتقلت مع عائلتها

وكان العناية الالهية ابت الا ان تمتع مسز ستو اجر الجهاد ولذة النصر فهيأت لها الاسباب ومكنتها منها . فان انتقالها الى الغرب عرفها بكثير من الناس واطلعها على عادات اجتماعية لم تعرفها قبلا . فتوسعت دائرة اختبارها وازدادت معارفها ثم رجعت الى ولاية ماين واقامت في قرية صغيرة خيمت عليها عناكب السذاجة والهدوء حيثما فسح لها مجال التمعن بما رأته وما شعرت به

واتفق لها حينما كانت في سنسناتي ان زمرة من العبيد الهاربين من مظالم اسيادهم والملتجئين الى بلدان الشمال شكوا اليها ما يقاسونه من الاتعاب والشقاء . فاثرت كثيراً لاحوالهم واستنكفت مما كان يرتكبه البعض من المنكرات الفظيعة حباً بتحصيل المال من اي سبيل جاء بحق او بغير حق . فصارت ترثي لنفسها وتمعن النظر في امر الاستعباد بعقل مستنير وقلب مملوء من عواطف الرحمة والشفقة

وكان وقتئذٍ حديث القوم في ولايات الشمال امر استعباد السود في ولايات الجنوب حتى ان مجلس النواب الاميركي قد بحث ايضاً في هذا الامر سنة ١٨٥٠ وقرر وجوب معاملة العبيد الهاربين بالرفق واللطف . وهذا ما زاد بتنبيه افكار اهالي الشمال ورغبهم في مداومة البحث والتكلم في الموضوع وحرضهم على لزوم الاستمرار بالهيج فيه لانه ملاء قلوبهم وعقولهم . غير ان العادة وضعف الارادة في الناس وايضاً في رجال السياسة والدين كل هذه

تغلبت على ما اثارهم للنهوض لتحرير العبيد فظلوا موجلين صامتين

بينما الذين اصلوا نيران هذه الاحاديث الاجتماعية افراد ملؤا الفضاء بصراخهم شأن كل من يرغب في ملاشاة فساد عمومي لابد لملاشاته من تعاون العموم عليه. ولكن غيرة الناس على صيانة التجارة والخوف من نشوب الحرب ووقوف حركة الاشغال وضعف السياسيين والبعد الشاسع عن اماكن الاستعباد كل هذه الامور حالت في بادىء الامر دون اتحاد الشماليين ضد الجنوبيين ومناصرتهم لاولئك المجاهدين باقلامهم ليلا نهاراً

فاستفزت هذه الاحوال غيرة الكاتبة هريت بتشرستو وكانت لا تنفتأ عن ذرف الدموع تاسفاً على ما تقاسية نساء العبيد واولادهم من خشونة البيض فشحذت قلمها والفت روايتها (كوخ العم توما) سنة ١٨٥١ وصفت بها اولئك الارقاء المناكيد وصفاً صحيحاً ادهش العالم. فانتشرت روايتها انتشاراً عظيماً وبيع منها في بضع سنوات خمسمئة الف نسخة في اميركا فقط وترجمت الى عدة لغات وقد ترجمتها الى الافرنسوية مدام بلوك وسر بها قراء هذه اللغة سروراً عظيماً اخصهم الكتاب العظام كشاتوبريان وغيره ووضعت بالتمثيل ومثلت مراراً لا تحصى حتى لم يبق اميركي يجهل ذلك الكوخ او ينسى تلك المؤلفة اذ كان لروايتها تأثير ان مدهشان في نفوس القراء اولها استحسان المتهاوحسن تركيبها وتسييقها وبلاغتها وسهولة فهمها وثانيهما بثها عواطف الحنو والشفقة على العبيد واثارتها حاسات الانفة والاقدام على تحرير السود من مظالم اسيادهم الذين لا يخافون الله ولا يترعون له وجوداً حتى اصبح معظم الاميركيين ضد حزب الاستعباد وناصرهم كثير من السياسيين فبحثوا في وجوب وضع حد لبيع العبيد او بالحري للاشاة هذا العمل الفظيع على الاطلاق فتألف الحزبان وتجهز كل منهما ثم اشتبكت الحرب الاهلية العظيمة ودامت اربع سنوات

واسفرت عن نتيجتين عظيمتين اتحاد الاميركيين كافة وتحرير العبيد

ولا نبالغ اذا نسبنا جميع هذه النتائج الحسنة الى ما خطته مسز ستو في كتبها فانها الفت عدة كتب اولها (زهرة ايار) طبع سنة ١٨٤٩ ولها من العمر ثمانية وثلاثون سنة . وبعد ما انهت مولفاتها في هـذا الموضوع نظمت شعراً منثوراً وصفت به احوال تيوانكلند فشغف الناس به لما ابدته من طول الباع في المسائل الاجتماعية الفلسفية . ولا غرو فقد اشتهرت بمقدرتها الغريبة على الوصف حتى عدها البعض في مصاف ولتر سكوت الكاتب الانكليزي الشهير وحسبها الاكثرون في مقدمة اشهر الروائيين الاميركيين ووافقت الجميع بالتأثير الذي رافق مؤلفاتها حتى عدت من غرائب الزمان

ولم تكن تهمل واجباتها المنزلية بل تقوم بها خير قيام وقـد ربت بنيها تربية حسنة وعاشت مع عائلتها بهناء .

وقد ساحت في أوروبا عام ١٨٥٣ وكانت حيثما حلت يحتفي بها اعاظم الناس ويكرمونها غاية الاكرام

واقروا بفضلها في اميركا فنصبوا لها تمثالاً في جامعة نيويورك حفرته الانسة دوران في معمل البارون تريكتي في باريز متخذة هيئتها عنها مباشرة عندما كانت في عاصمة التمدن . وهو اصح رسم لها تبدو منه قوى نفسها

وصرفت آخر حياتها في هارتفورد حيث تعلمت الى ان توفيت في ثالث تموز سنة ١٨٩٦ متجاوزة من عمرها الخامسة والثمانين

قد انكر المرء عيباً به والعيب للمرأة جوراً نسب
اهدى اليها سر اخلاقه كتاب سر فيه كل العجب
ما ذنبها منه اذا حفظت شراً بل الذنب على من كتب

وديع الخوري